ذكرى شامبليون

مفتاح اللغات المصرية والكنوز الاثرية

لا يزال قدماء المصريين موضع عجاب الشعوب في كل زمان ومكان لما يرونهُ من آثارهم التي بهرت العالم بضخامتها وقاومت اعاصير الدهور واباعيل الزمان

فكيف لا تكون موضوع اعجابنا اليوم ونحن سلالتهم واحق ان نفتخر بهذه الآثار الخالدة التي تعبر عن مجدهم الصميم وفخارهم القديم ، على انها مهما بلغت من الدلالة على رفعة شأنهم وسمو جانبهم فما هي الا مسحة من جمال وجلال وبقية يسيرة من آثار رأس المال

لم ينل قدماء المصريين هذا الفخار الخالد بكثرة الغزوات وشن الغارات وانما الذي جعلهم في مقدمة معاصيرهم من الامم هو رسوخ اقدامهم في المدنية وتمكنهم بالمبادىء القويمة وغزارة علومهم وسمو مداركهم وعدالة احكامهم فقد بلغوا في الفنون والصناعات والآداب درجة زاحمت الكواكب سناء وسنى في عصرها الذهبي حين كانت اوربا الغربية في عصرها الحجري

ولا شك ان مصر هي اصل حضارة العالم وينبوع المدنية ومصدر الارتقاء بدليل آثارها التي اذهلت العقول وكلما مضت مدة مستطيلة رأتها الابصار بعزة صقيلة فكأنها الاجرام الفلكية نزلت الى هذه البقعة الزكية لتعبر بلسان حالهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وحسبنا فخاراً ان اعاظم فلاسفة اليونان كفيثاغورس وافلاطون تلقوا الفلسفة العالية والحكمة المصرية في مدرسة عين شمس ونقل افلاطون كل حكمته عن المصريين وتغذّى موسى الكليم بلبان العلم في مصر

قال هيردوت وغيرهُ من المؤرخين اليونانيين « ان مصر ام العجائب والغرائب » . وليس السبب في ذلك حسن هوائها ولا مناظر آثارها فقط بل الجدير بالاعجاب هو اخلاق شعبها وعاداتهم ولاسيما ماكانت عليهِ المرأة المصرية من تمتعها بجميع حقوقها المادية والادبية حتى في التربع على دست الملك خلافاً لما كانت عليهِ المرأة الشرقية او اليونانية في تلك العصور

لم يتعرض مؤرخو اليونان كهيرودوت وديودور الصقلي لذكر شيء من علوم قدماء المصريين لانهم لم يكن لهم المام باللغة الهرغليفية ولا اقل رابطة بالطبقة العالية المتعلمة من الكهنة او الكتبة بل كانت كل علاقاتهم بالطبقة الجاهلة من الكهنة الذين كانوا يروون لهم الخرافات الخاصة بالفراعنة العظام وكانوا يزدرونهم لبساطتهم حتى قالوا لهم مرة « ما انتم ايها اليونان الا اطفال » وقال اكليمندس الاسكندري ان قدماء المصريين لم يبوحوا باسرارهم الدينية والادبية الا الى الملوك والكهنة المشاهير بالفضل والعلم والادب

وكانت بمصر دار كتب في عهد ملوك اهرام الجيزة وقال مانيثون المؤرخ (المتوفى في القرن الثالث ق . م) ان عدد المؤلفات المنسوبة الى هرمس ٣٥٥٢٥ . ومن عجيب ما يروى انهُ لما تمرد المصريون على الامبراطور ديكلسيان (في القرن الثالث ب . م .) احرق جميع المؤلفات المصرية القديمة الخاصة بعلم الكيمياء حتى لا يستعينوا بهذا العلم على مقاومته

لم يبق الدخلاء الذين تسلطوا على مصر شيئاً من كتب الاقدمين . الا ما وجدناهُ مكتوباً في المقابر والمعابد ولهذا اندثرت جميع علومنا وفنوننا وصناعاتنا القديمة ثم قام من ارشدنا الى مجدنا السابق الا وهو شامبليون احد ابناء فرنسا العظام فحلَّ رموز لغة اجدادنا وقرأ ما نقشوهُ على جدران الاهرام والمقابر وما كتبوهُ على الاوراق البردية المحفوظة الآن في متاحف العالم من آثار علومهم وفنونهم وصناعاتهم فتيسر لنا ان نقف على حقيقة تاريخنا السابق وننهض من سباتنا ونخلع اردية الخمول والذهول . وجميع ما نحن عليهِ اليوم من هذه النهضة الحديثة والتقدم والرقي انما هو راجع ولا شك الى فضل شامبليون الذي اكتشف لنا اسرار اللغة الهرغليفية التي عجز عن حلها الباحثون منذ الني سنة تقريباً

لذلك كتبت الكلمات التالية اقراراً بفضل هذا الرجل العظيم وتذكاراً لعيده المئوي من عهد اكتشافهِ اللغة الهرغليفية

لمحة في سيرة شامبليون

ولد جان فرنسوى شامبليون في مدينة فيجاك من اعمال فرنسا سنة ١٧٩٠ من سلالة الاسرة المالكة ولقب بالصغير تمييزاً لهُ عن اخيهِ فيجاك شمبوليون . مات والدهُ في صغرهِ فقام اخوهُ على تربيتهِ . وكان نجيباً ذكياً تعلَّم من دون معلم في

السنة الثالثة عشرة من عمره اللغات العبرانية والكلدانية والسريانية واليونانية والعربية والصينية ثم تعلم كثيراً غيرها ولكنه امتاز بمعرفة اللغة القبطية حتى انهُ كتب مرة الى اخيهِ يقول « لا يوجد بين جميع الشعوب الذين احبهم من يعادل المصريين في قلبي »

وكان يميل كثيراً الى معرفة اللغة الهرغليفية فساعدهُ في ذلك ما قرأهُ في كتب اليونان والرومان واستعان باللغة القبطية وبآراء علماء الآثار وهم زويجا واكربلاد والدكتور ينج الشهير. ومن حسن الحظ انهُ عُثر على حجر رشيد ومسلة فيلا المكتوب عليها اسماء الملوك باللغتين الهرغليفية واليونانية . وبعد بحث واستقصاء اكتشف الاحرف الابجدية الهرغليفية التي نال بسببها حظوة وزلفى عند لويس الثامن عشر ملك فرنسا حتى كافأهُ على هذا الاكتشاف البديع بعلبة من الذهب منقوش عليها هذه العبارة « هدية من الملك لويس الثامن عشر الى شامبليون لاكتشافهِ الاحرف الهجائية الهرغليفية »

اراد شامبليون بعد ذلك معرفة مدلولات هذه اللغة فاتقن اللغة القبطية التي هي نفس اللغة الهرغليفية لكنها مكتوبة بحروف يونانية وسافر الى ايطاليا وزار متاحفها واتى الى مصر والنوبة واقام سنتين في هذه الرحلة التي جعلها ذريعة الى مطلبهِ ووسيلة الى بغيتهِ ولم يزل يجد في البحث ويمعن في الفحص حتى فاجأه الموت في ٤ مارس سنة ١٨٣٢ وله من العمر ٤٢ سنة وآخر ما نطق به « اترك اجروميتي وقاموسي ومذكراتي في اللغة الهرغليفية كبطاقة للخلف »

قال شاتوبريان « لا يزال اسم شامبليون حياً ما دامت قائمة هذه الآثار التي كشف لنا اسرارها الغامضة » نعم مات شامبليون ولكنهُ لا يزال حياً باعمالهِ التي اظهرت لنا مجدنا السابق فلا بدَّ ان نكافئهُ باقامة تمثال له اعترافاً بذكائهِ وفضلهِ

مشروع اقامة تمثال لشامبليون بثغر الاسكندرية

« بقي جمالها خفياً ولم يستطع احد ان يكشف عنها هذا الغطاء » هذه آية اصلها من نشيد اسيس إلهة الجمال ثم اطلقت ايضاً على مصر القديمة حتى اول القرن التاسع عشر ب . م الذي جاء فيه شامبليون واكتشف اللغة الهرغليفية فرفع بمهارتهِ هذا الغطاء عن هذا الجمال الذي صار موضوع اهتمام العالم المتمدن يأتي السائحون مصر ويزورون كل آثارها ويرجعون الى بلادهم معجبين بجمالها

ويبذلون نحو مليون من الجنيهات كل سنة في هذا السبيل ولولا علمهم عزايا هذه الآثار السامية لما أتوا اليها من جميع انحاء العالم وكابدوا لاجلها هذه المشاق . فالفضل في ذلك راجع الى اكتشاف اللغة الهيروغليفية التي لولاها لم يظهر لهذه الآثار معنى في الوجود . فقد اكتشف شامبليون قراءة هذا الخط المسطر على جدران المعابد والاهرام والاوراق البردية فأحيا لغة الفراعنة العظام التي دلت على شعائرهم القومية وعلومهم العالية وفنونهم السامية وعاداتهم الراقية . ووقف المصريون بفضل شامبليون على تاريخ ابائهم العظام واجدادهم الكرام وعرفوا انهم كانوا رجالاً حين كان اليونان اطفالاً . وبفضل شامبليون لا تزال الاكتشافات متواصلة متتابعة فان مندوبي الدول يأتون مصر ويحفرون الحفائر الأثرية مهما كلفتهم من الاموال والاتعاب والزمن لاستخراج ما في بطون الثرى من الكنوز الثمينة التي نراها في متحفنا المصري وفي جميع متاحف العالم والتي ستظهرها الايام المقبلة . وبفضل شامبليون اسست حكومتنا مصلحة الآثار التاريخية والمتحف المصري المشتمل على كثير من التحف القديمة

احتفلت فرنسا في ١٠ يوليو سنة ١٩٢٢ بيوبيل شامبليون تذكاراً للتقرير الذي قدمهُ في مثل هذا اليوم من سنة ١٨٢٢ (١) الى معهد العلوم والفنون الجميلة بباريس بنتيجة اكتشاف الابجدية الهيروغليفية وكان عمرهُ وقتئذ ٣٢ سنة

ولقد ألف فاياردو بك الفرنسي لجنة برئاسة رجل المروءة صاحب السمو عمر باشا طوسن واكتتب لها بنحو خمسة آلاف جنيه اغلبها من عظماء المصريين لاقامة تمثال لشامبليون يخلد ذكرهُ واقترح ان يكون هذا الاثر الجليل في ثغر الاسكندرية في الفضاء الذي خلف قنصلية فرنسا ويكون مرتفعاً عن مستوى الارض متراً ونصف متر وحوله درابزين وفي وسطه مسلة بها ناووس فيه شاهد منقوش عليه انموذج من حجر رشيد ويعلوهُ تمثال شامبليون والى يمين هذا الناووس ويساره تمثالان الاول لتحوت اله العلوم والفنون والمعارف والثاني لساشخ سيدة الكتابة وأمينة دار الكتب المصرية

انطون زكري

بالمتحف المصري

(١) قدم شامبليون تقريره الى معهد العلوم في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٢ ولكن فرنسا تحتفل بعيده المئوي في ١٠ يوليه سنة ١٩٢٢ اذ يكون كثيرون من الاوربيين وغيرهم بباريس

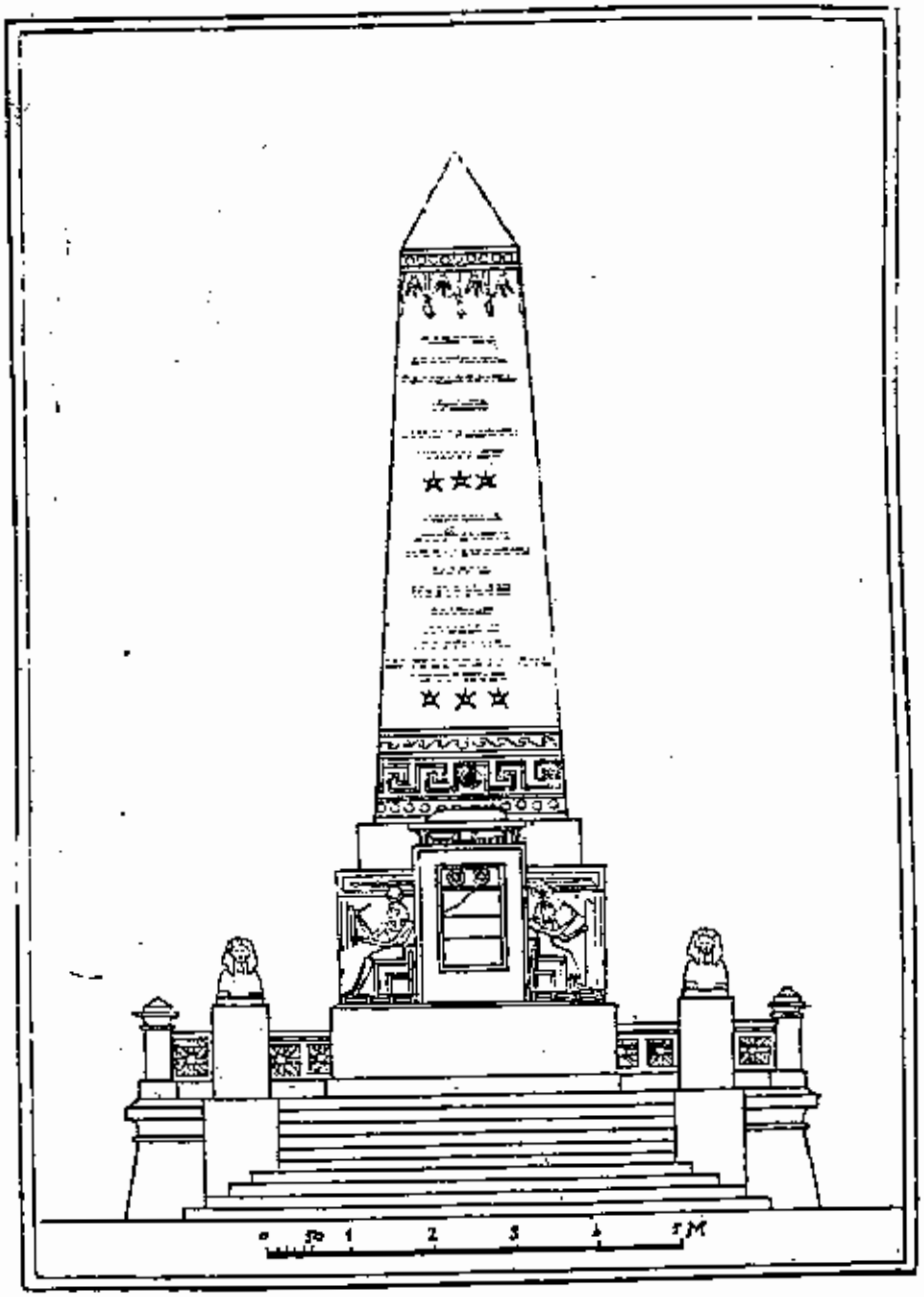

تذكار شامبليون مقتطف اغسطس ١٩٢٢

امام الصفحة ٢١٦